



محمد عزيز الحسيني

رَقْصَةُ الذَّنْبِ فِي الكَفَنِ

«...وَأَملاً خنجرتي المتلهبة
باللجج،
وَأَحْمَلُ الشَّيْطَانَ
إلى روعي المسكينة..»
(هيرمان هيس)
...وبماذا
تُبْحِخُ رُؤَاكَ عَلَى الأَرْضِ
وَأَنْتَ مُنْذُ الرَّجْفَةِ
الأولى تَحْمَلُ
أَكْفَانَهَا وَحِيداً؟
كَيْفَ قَضَمُوا
أَكْمَامَ مَعَاطِفِهِمْ
وَبَكَوْا عِنْدَ البَرِّجِ؟
أَتَدَاءُ تَجْهَشُ
فِي قُمْصَانِهَا ثُمَّ
تَحْتُو أَشْوَاقَهَا
إِثْرَ كُلِّ مُنْعَطِفٍ..
وَأِثْرَ كُلِّ مُنْعَطِفٍ يَنْتَضِي
هَذَا القَوْسُ شَهْوَةً
البَحْرِ فَتَقْبَلُ الحُرُوفُ
سَاعِيَةً إِلَى وَكْرَهَا
فِي جُفُونِي.. هِيَ سَاعَةٌ
نُحْطِطُ فِيهَا لِانْقِلَابِ

المَجْرَى صَوْبَ عَيْنِي
فَلَا أَرَى
سوى سَفَائِنَ
عَلَى سَفَائِنَ
تَمْضِي بي فِي العَرَاءِ
الرَّمْلِيِّ.. لِمَاذَا
تَغْضُ الطَّرْفُ يَا نَدِيمِي؟ لِمَاذَا
لَا تَحْمَلْنِي عَلَى مَوْجَةِ التَّلْجِ
فَأَتَعْرِى مِنْ
نَشِيجِي؟
دَمْعَتَانِ تَأْتَلِقَانِ
فِي الهَوَاءِ، البَلِيلِ: هُوَذَا
سَبْحِي الأَثِيرُ
لَدَيْ نُؤُوبِي
مَنْ صَحَبَ البِنَادِقِ..
لَنْ تَرَى سِوَى
مَلْهَاتِي تَغْضُ
عَلَى الحَدِيدِ وَتُقَوِّي
مَلَمَسَ المَسَاءِ المَحْسُوبِ
بِالْتَوَانِ وَبِأَذَانِ
مُراهنَةٍ عَلَى عَوِيلِ الحَوَامِلِ..
ذَآكَ الحَصَى فِي قَاعِ
البِرِّ يَضُمُّ صُورَتِي

المِزَاجِ.. هَكَذَا
يَشُدُّ الرِّعَاءُ أَوْتَارَهُمْ
إِلَى العَيْبِ وَيَتَسَوَّنَ
شَفَاهَهُمْ فِي الحِجْرِ..
سَفَائِنُ تَمْضِي
عَلَى رِيحِ بِنْفَسِجِيَّةِ،
وَسَفَائِنُ تَوُوبُ
عَلَى كَمَائِنِ الفِرَاقِ.. وَأَنَا،
مِنْ قَنَاةِ المَرْفَأِ،
سَآمُضِي بِدُورِي
إِلَى هَذَا الحَفِيفِ
المُشِيعِ مِنْ قَمْرَةٍ
طَائِشَةٍ وَمِنْ نُورِجِ
يَتَشَقُّ حَوَاشِيهِ
السَّيْسِبَانَ، وَسَتَمْضِي
مَعِي نِهَائِي إِلَى الهَيَاكِلِ
الصَّبَاحِيَّةِ الَّتِي
طَالَمَا رَاوَدَتْ خُرَافَاتِنَا
الرَّقِيقَةَ وَطَالَمَا
اهْتَدَيْنَا بِشُرُودِهَا
إِلَى الحِجَارَةِ المَخْتَوِّقَةِ
فِي المَاءِ..
كُلُّ الحِيتَانِ أَوْدَعَهَا

في الظل
 إلى يَحْضُورها..
 حُذِّ حَفْنَةً مِنْ رَطْوِيَةِ
 الخِرَاقِيصِ وَانزَلْ
 سَلَّمَ التَّوَايَا
 حَجْرًا،
 حَجْرًا،
 وَاسْأَلْ عَنِّ أَقْدَارِي
 فِي أَعْشَاشِ لَفْئَتِهَا
 قُتُوَّةُ الشُّجْرَى،
 سَحَابٌ
 أَمْ مَطَرٌ،
 مَا يَفْرِكُ جُمَانَ الرُّوحِ
 وَيَنْثُرُ المَكَانَ
 عَلَيَّ عَسَلِ الذُّكْرِ؟
 هَذِهِ الخُيَلَاءُ حَتَمَتْ
 أَعْمَاقَ المَشُورَةِ
 بِأَعْمَاقِي، لِيَتَدَلَّ خَيْالُهَا
 عَلَيَّ الخِرَابِ الطَّافِحِ
 فِي شَهْقَةِ الكَاسِ
 الأُولَى. كَيْفَ نُحَاوِرُ
 الطَّقْسَ بِاللَّذَاذَةِ
 وَالأَسْطُوبَلِ وَنَشْرُبُ
 فِي وَرْقِ حَائِلِ ذَاكِرَةِ
 الرُّحِيلِ؟.. سَأَنَسِي
 هَذِهِ الخَطْمِيَّةَ عَلَيَّ أَعْتَابِ
 دَمِي وَفِي حَنَجْرَتِي..
 كَيْفَ يَعْشَقُ البِدَاءُ
 صَالَتَهُمْ مِنْ فُوجَةِ البَابِ
 حِينَ يَلْتَمُّ وَجْهِي
 فِي سَحَابِيَةِ تَخْطُو إِلَيَّ

فَعْرِ المَعَاصِي؟
 هَذِي الرِّيْحُ تُخِينَةٌ
 وَتُعْرِي أَوْجَارِي، وَأَنَا
 أَهْذِي دُونَهَا أُمُجِرُنْ
 فِي تَمَثَالِي النُّضْفِيِّ
 فِي المَرَاةِ مَبْتَلًا
 بِسَعَالِي! هِيَ ذِي
 اليَعَاسِيْبِ، هُوَذَا
 الدُّلْدُلُ المَقَامِرُ.. هِيَ ذِي
 الأَكْمَاتِ الصَّالِعَةِ
 فِي الأَرْقِ.. هُوَذَا الكَهْرْمَانُ
 وَصِفَاتُ اللُّوزِ
 عَلَيَّ اليَانْسُونِ..
 مَنْ يَشْرُدُ حَظِّي عَلَيَّ
 أَحْفَادِ مُتَخَلِّجِينَ
 فِي حَارَاتِهِمْ كَرِيشِ مَفْتُونِ
 بِالنَّقُوشِ، كَصَخُورِ
 حَلِيْبِيَّةِ تُدْمِدِمُ فِيهَا
 الأَبْدِيَّةَ بِنَوَاقِيسِهَا الحَمَقَاءِ؟!
 مِنْ بَعِيدِ سَيِّدَلِهِمْ
 هَذَا النَّدَى مُرْعَمًا
 لِيَتَعَتَّرَ فِي خُيُوطِ
 المُؤَاوَمَةِ المَآثُورَةِ
 لِوَرَثَاتِي.. مِنْ ذَارَتِي
 فِي الشُّفُوحِ
 تَخْبُو القَصَبَاتُ فِي أُنْبِي
 وَتَهْدِجُ سَكِينَتِي
 بِالجُرُوحِ..
 وَقَدْ يَحْتَطِبُونَ لِي
 البَرَارِي حُشَاشَةً
 مُتَالِهَةً تُمُّ

يَوْتُونَ لِمَاضِي وَآتَرَابِي
 بَعْدَئِذٍ، بِعِصِيَّتِهِمْ
 وَلِهَاتِهِمْ يَنْزَلُونَ إِلَيَّ
 عَلَيَّ صَرَبَاتِ كَنِيمَةٍ
 فِي شَجَرِ السُّوْحَرِ
 أَوْ فِي شُحُوبِ العَرَاجِينِ
 يُغْضِي الصَّدَى الشَّهْوِيَّ
 عَنِّ أَخْلَامِي..
 وَبَرِ أَيَّامِي مِنْ
 القُبْرَاتِ وَبِتَاتِ آوِي
 حِينَ تَهْتَالِجُ
 الوُضَيْفَاتُ فَيَسْرُخُنَّ فَهَقَّهَاتِهِنَّ
 وَيُنَازِعُنَّ شَهْوَتَهُنَّ تَحْتِ
 رِدَائِي.. أَقَاسِمُ
 هَذَا الشُّجْبِي صَوْتِي؟
 شَمْسِي لِآهِنَةٍ وَلِلْخَرِيفِ
 رَائِحَةُ المَرَاةِ حِينَ
 يَنْفُخُ مِلْحَهُ فِي عَضَلِ
 الفُضُولِ وَحِينَ
 تَخْتَصُّ نَارَ «هِيْرَاقِلِيْطَ»
 بِالقَنَافِذِ..
 مُتْتَدَبٌ لِلخَرِيقِ
 هَوَايَ، وَزَمَنِي عَدُّ
 هُرُطُوقِي يُقْضِضُضُ
 أَيَّامِي بِمَكَائِلِ مِنْ فِضَّةٍ تُمُّ
 يُلْهِنِي
 عَنِّ هَذِي الزُّرْقَةِ
 العَطْشَى وَعَنِّ هَذَا
 التَّلْجِ المُتَنَكِّفِ
 عَلَيَّ رُوحِي..